

الحلقة السابعة والخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل جمع المال هو هدفك الرئيس في هذه الحياة مستمعي؟ قد تجيب وهل يمكن أن يعيش الإنسان بدون مال؟ فالإنسان بحاجة إلى المال لكي يوفر له ولعائلته الحاجات الرئيسة، من غذاء وكساء ومسكن. ولكي يؤمن غداً مشرفاً له ولأفراد عائلته. ليس خطأ أن يكون المال وسيلة للعيش، لكن الأمر يختلف عندما يغدو المال هو الهدف، وعندما يسعى الإنسان لجمعه بكل الوسائل المتاحة له شرعية كانت أم غير شرعية. والخطأ أيضاً عندما يصبح المال هو معبود الإنسان الأول والوحيد.

كنا تأملنا في الحلقة الماضية بقاء المخلص المسيح مع الشباب الغني، وكيف أن هذا الشاب مضى حزينا لأن المسيح طلب منه أن يوزع أمواله الكثيرة على الفقراء، ويتبعه. وبدا واضحاً لنا أن المال كان هو العقبة الرئيسة في اتباع هذا الشاب الغني للمسيح. وبعد أن ذهب الشاب الغني قال المخلص المسيح لتلاميذه:

«الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيِّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ! وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!». فَلَمَّا سَمِعَ تَلَامِيذُهُ بُهِتُوا جِدًّا قَائِلِينَ: «إِذَا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ» (بشارة متى ١٩: ٢٣-٢٦). أجل هذا عند الناس غير مستطاع، أي دخول الغني إلى ملكوت الله، ولكن عند الله كل شيء مستطاع. سنأمل الآن بتصريح المسيح الهام هذا فابقوا معنا.

لقد علّق المخلص المسيح عندما ذهب الشاب الغني حزينا قائلاً: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ!» أي ما أصعب دخول الناس الأغنياء الذين جعلوا المال هدفهم الرئيس، ومعبودهم الأول إلى ملكوت السموات. وهذا أمر واقعي جداً، نجده ظاهراً في كل المجتمعات. ولكي يشير إلى صعوبة هذا الأمر أردف المسيح قائلاً: «إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!». وهنا وكأن المسيح يعتبر هذا الأمر مستحيلاً. فيما أنه من المستحيل على الجمل أن يمر

من نقب إبرة، هكذا من المستحيل على غني أن يدخل إلى ملكوت الله.

وكان المسيح قد قال في موعظته الشهيرة على الجبل: «لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدُمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ» (بشارة متى ٦: ٢٤). فكما أنه من المستحيل أن يخدم الإنسان سيدين في آن واحد، هكذا لا يقدر أن يخدم الله والمال. فإما أن يخدم المال أو يخدم الله، أو يعبد المال أو الله. وهذا القول يكشف لنا صحة ما ذكرناه قبل قليل، أنه من الصعب جداً أن يدخل الأغنياء الذين جعلوا المال هدفهم ومعبودهم الرئيس إلى ملكوت الله.

لكن تلاميذ المسيح عندما سمعوا كلامه هذا استغربوا جداً وتساءلوا: «إِذَا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» وهنا أجابهم المخلص المسيح قائلاً: «هَذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرٌ مُسْتَطَاعٍ، وَلَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ». أي صحيح أن الأمر مستحيلٌ ويبلغ الصعوبة بالنسبة للبشر، لكن الله القادر على كل شيء يستطيع أن يخلص حتى الأغنياء ويدخلهم إلى ملكوت الله. أجل، فالله قادر أن يغيّر طبيعة الأغنياء الأنانية من الداخل، ويضع فيهم طبيعة روحية جديدة، إذا أتوا إليه تائبين بإيمان ومتواضعين. وهكذا يصبح الله بدل المال هو معبودهم الأول الذي يسعون لخدمته. وهذا أيضاً أمر واقعي، اختبره الكثيرون من الأغنياء على مر العصور وفي كل البلدان.

مستمعي الكريم، لقد تحدّث المخلص المسيح في أحد أمثاله عن مدى تأثير محبة المال والغنى على الإنسان لكي يبعده عن قبول ملكوت الله. فشبّه ملكوت الله بالزارع الذي خرج ليزرع، وإذا سقطت بعض الحبوب بين الشوك، فطَلَعَ الشُّوكُ وخنقها. وفسّر المسيح ما قصده لتلاميذه بالقول: «وَالْمَزْرُوعُ بَيْنَ الشُّوكِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَهَمَّ هَذَا الْعَالَمُ وَعُرُورُ الْغِنَى يَخْنُقَانِ الْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ بِلَا ثَمَرٍ» (بشارة متى ١٣: ٧). أي أن إغراءات المال والسعي نحو الغنى سيجعل بشارة الخلاص التي سمعها هذا الشخص بلا ثمر في نفسه. وهذا يُظهر مدى محبة المال السلبي على قبول بشارة الخلاص.

أما الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل فقد كتب أيضاً قائلاً: «وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَتْحٍ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْبِيَةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغْرِقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلَاكِ. لِأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلَ لِكُلِّ الشَّرِّورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَعَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ» (١ تيموثاوس ٦: ٩-١٠). لقد حدّر الرسول بولس بهذه الكلمات حتى المؤمنين بالمسيح من إغراءات المال، والسعي نحو الغنى. واعتبر أن محبة المال هي أصل لكل الشرور، إذ تضلّ الإنسان وتبعده عن الإيمان الصحيح، وتسبب له آلاماً كثيرة. ودعاهم للهروب من هذا الخطر المحقق بهم، واتباع البر والتقوى والإيمان.

أمام هذه الحقائق الواضحة ما هو موقفك مستمعي؟ أولاً تتفق مع المخلص المسيح الذي أكد أن محبة المال تقف عقبة كبرى بين الشخص وقبوله لخلاص الله ودخوله بالتالي إلى ملكوته؟ إن المال وُجد فقط كوسيلة للعيش، وليس لكي يصبح معبود الإنسان الأول، ويستعبده.

إن الله قادر مستمعي بالتأكيد ، إذا كانت عندك هذه المشكلة، مشكلة محبة المال، أن يحرك منها، إذا أثبتت إليه بتوبة صادقة وإيمان أكيد بالمخلص المسيح. الذي وحده يقدر أن يحرر الإنسان من هذه العبودية ومن أية عبودية كانت، لا سيّما عبودية الخطيئة. وعندها تستطيع الدخول إلى ملكوت الله. فهل تُراك تؤمن بهذا الفادي المخلص؟